

الحسين بوظيلب (2005) أسس الهجرة الدولية والدينامية السوسيوإقليمية بالريف الشرقي، أطروحة لنيل الدكتوراة في الجغرافيا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس.

الكلمات المفتاح: الهجرة الدولية، الريف الشرقي، الدينامية السوسيوإقليمية والثقافية، التنمية المحلية.

تعالج هذه الأطروحة إشكالية أسس الهجرة الدولية والدينامية السوسيو إقليمية بالريف الشرقي، وهي إشكالية لا تبدو عديمة الجدوي، خصوصا أننا لا نجد في الكتابات القليلة حول الهجرة الدولية بالريف الشرقي خاصة، وبمجموع مناطق المغرب ما يلي رغبة البحث العلمي.

أما عن اختيارنا للريف الشرقي مجالاً للدراسة، فلم يمليه انتماؤنا للإقليم المذكور فقط، وإنما أملاه الانتشار الاستثنائي لظاهرة الهجرة الدولية محليا. فقد شكل هذا العامل حافزا للخوض في هذا الموضوع مع ما يتيح ذلك من مجال خصب للبحث والتنقيب. ولا نتوخى من هذه الدراسة المساهمة في تراكم الكم المعرفي فحسب، بل الوقوف على خبايا هذه الظاهرة المجتمعية وعلى المنطق الذي يتحكم فيها، والذي لا يخلو من إثارة وتعقد، كإفراز لاختلاف دينامية المجالات بين ضفتي المتوسط.

ولمقاربة الموضوع، انطلقنا من صياغة الإشكالية التالية: تعتبر الهجرة ظاهرة جد متجذرة في الريف الشرقي تعبيرا عن اختلال التوازن بين الثقل الديموغرافي وقلة الموارد الاقتصادية. وبعد الاستقلال، وتثبيت الدولة بسياسة الهجرة كحل ظرفي لامتناس الفائض الديموغرافي، تحول الريف الشرقي على غرار الكثير من المناطق المغربية (سوس ومنطقة الأطلس...) إلى أحد أهم أحواض الهجرة على الصعيد الوطني. وللإجابة على الإشكالية الرئيسية، طرحنا أسئلة فرعية على الشكل التالي:

- ما هي الأسس والأسباب التي جعلت من حوض تمسامان وهوامشه مجالا هجريا متميزا ؟
- ما هي التطورات التاريخية التي عرفتها الهجرة منذ انطلاقتها؟ وما هي التحولات التي تعرفها اليوم؟ و هل لهذه التحولات انعكاسات على المنطقة الأصلية؟
- ما هي طبيعة انعكاسات عائدات الهجرة الدولية على حوض تمسامان وهوامشه في بعدها الاجتماعي والاقتصادي والمجالي والثقافي ؟

للإجابة على الأسئلة المطروحة، تم الانفتاح على أكثر من تصور منهجي ونظري، لما لهذا الموضوع من علاقة متعددة مع باقي التخصصات الأخرى من تاريخ وانتروبولوجيا وديموغرافيا وسوسيوولوجيا. كما قمنا بجرد بيبليوغرافي يتعلق بالموضوع من خلال جل ما كتب محليا ووطنيا ودوليا. ناهيك عن إسناد البحث إلى لغة الأرقام التي استقيناها من مصادر متنوعة محلية ووطنية، فضلا عن البحوث الميدانية. ولتسهيل عملية فرز جميع المعطيات المحصل عليها ميدانيا لجأنا إلى المعالجة الإحصائية والفرز عن طريق الحاسوب اعتمادا على **مقال Logiciel** من نوع **S.P.S.S** لتفادي الأخطاء والسقوط في التكرارات، ونظرا لأهمية الكارطوغرافية في الدراسات الجغرافية، قمنا بإنجاز أعمال كارطوغرافية شملت تغطية كاملة للمنطقة، بحيث تم اللجوء إلى مختلف القياسات وأشكال التمثيل.

وانطلاقا من الإشكالية والأسئلة المرتبطة بها والفرضيات التي أطرته، ووفقا للمعطيات المتوفرة ارتأينا تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة أبواب وخاتمة تركيبية.

يحاول الباب الأول ملامسة أهم الجوانب التي جعلت من الريف الشرقي مجالا طاردا لسكانه، مع إبراز المؤهلات المحدودة التي يتوفر عليها والإكراهات الكبيرة التي يعانيتها. كما يتناول هذا الباب كذلك موقع الريف الشرقي ضمن المخططات الاقتصادية والاجتماعية للدولة، وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والمجالية على المنطقة، إضافة إلى أهم المشاريع والبرامج التي تتجز حاليا سواء من طرف الدولة أو المجتمع المدني، لتجاوز التأخر الحاصل على جميع المستويات.

ويضع الباب الثاني ظاهرة الهجرة في إطارها التاريخي محاولاً رصد الأبعاد التي اتخذتها خلال كل مرحلة تاريخية، والعوامل المتحركة فيها، والخصائص العامة المميزة لها، ومقارنتها بالهجرة الدولية بباقي الجهات المغربية. وقد ركزنا على التحولات العميقة التي تعرفها الهجرة الدولية بالريف الشرقي، وبيننا الأشكال التي اتخذتها، والتفاوتات المجالية التي تعرفها والعوامل المتحركة في ذلك، كما تطرقنا إلى إشكالية الموعدين الدورية والنهائية، إضافة إلى الصعوبات التي تمر منها الهجرة الدولية حالياً، وسياسة مختلف الدول الأوروبية تجاه الهجرة والمهاجرين، ومكانة الهجرة في إطار السياسة العامة للدولة المغربية، ومدى انعكاس كل ذلك على المجال المدروس.

ويعالج الباب الثالث أهم الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية للهجرة، وهكذا ركزنا على أهمية التحويلات المالية التي يحققها المغتربون في الاقتصاد الوطني والمحلي، بحيث تشكل هذه التحويلات المصدر الأول للعملة الصعبة بالمغرب. فهذه التحويلات أضحت تلعب الدور الحيوي في الحفاظ على التوازنات ببوادي وحوضر الريف الشرقي، إذ تمثل أكثر من 90% من الودائع البنكية محلياً، مما يجعلها تساهم في تسريع وتيرة تنقيد البوادي، وفي تزايد انفتاحها وتحسين مستوى عيش الأسر، وتغيير سلوكياتها الاستهلاكية والثقافية.

فإذا كان أحد لا يجادل في كون عائدات الهجرة الدولية عملت على تحسين مستوى عيش أسر المهاجرين، فإن تأثيراتها لم يرق إلى مستوى تغيير البنيات الإنتاجية، وهذا يعني أن رساميل المهاجرين تأخذ طريقها نحو المناطق الأكثر دينامية كما يشهد على ذلك النزيف المالي الذي يشهده الريف الشرقي.